أثر الحضارة العربية والإسلامية في الحضارة الغربية

لما بلغ الصراع بين الدين والعلم في أوروبا مبلغاً كاد يطيح العلم بالدين ورجاله ويصرف وجوه الناس عنهم، قامت الكنيسة بالعمل على استمرار سيطرتها على المؤسسات العلمية وكبح جماح العلماء وملاحقتهم فأقامت محاكم التفتيش لإنهاء الهرطقة العلمية المخالفة للكنيسة حيث كانت أوروبا تعاني من الاستبداد والحروب الأهلية والجهل ومظاهر التخلف.

أما الحضارة العربية والإسلامية فقد كانت في أوجها وبعد محمد ﷺ بقرن ونصف ترجم أحفاد القبائل العربية وتمثلوا جميع الأعمال العلمية الكبرى للعصور القديمة وصنعوا لغة علمية دولية تكيفت بوجه خاص مع الرياضيات وأنشأوا في بغداد مكتبة ومركزاً للبحوث كان الوحيد في العالم، وأنتجوا علماء في الفلك، وعلماء في شؤون الطبيعة، وأطباء ورياضيين من الطراز الأول (سر تأقلم العرب)[1].

وبعد ألف عام من التردد استطاع المسيحيون أن يكتشفوا ويترجموا ما كان لدى هؤلاء العرب من العلم القديم الذي كانوا قد احتقروه ولم يأبهوا به، فصدرت كتب حول النضوج المبكر للتطور العلمي لدى المسلمين ككتاب «موجز تاريخ العرب»[2] وكتاب العلم العربي، بينما يتنازع العلماء في الغرب حول أهمية العلم فيقول أوغسطينوس مستمداً من كلمة القديس بولس الشهيرة «العلم ينفخ صاحبه»، والعالم الإسلامي ورث العلم اليوناني وراثة أسرع.

---

(1) كتاب الكنيسة والعلم لجورج مينوا ص 109-110. أيضاً انظر (الإسلام في فجر عظمته) د. فلاماريون 1973.

(2) قام بترجمته أرنولد وهيوم.

وقد ذكر جورج مينوا فقال: تمت ترجمة الآثار اليونانية عن اللغة العربية إلى اللاتينية مع تعاون أعداء المسلمين[1].

ورغم كل ذلك نجد حقدهم يظهر وفي ذلك يقول جورج مينوا: لابد لنا أن نستذكر الأحقاد التي أثارها الإسلام في الغرب لكي ندرك مدى النفور والاشمئزاز الذي ما كان المسيحيون يترددون في كبحه وهم يذهبون ليتلقوا العلوم لدى العرب. فقد روي أن جيربرت كان يقيم في مدينة قرطبة، فأغرى فتاة مسلمة لكي يستحوذ بفضلها على كتاب (العلم الملعون) الذي كان يشتمل على جميع ما يقدر المرء أن يعرفه.

وفي بداية رحلات الرهبان إلى إسبانيا (الأندلس) التقوا بالمترجم لكتاب عربي حول الاسطرلاب وهو سيونيفر دلونيت أحد رجال كاتدرائية برشلونة وقد قال بيير المبجّل: من الهام ألا نتهاون ليسبقنا العرب على الصعيد العلمي، ويترتب علينا أن نعرفهم ونعرف عقيدتهم من الداخل لكي نحاربها بالمزيد من الفاعلية وقد قاموا بترجمة ونقل بعض الكتب العربية للفارابي وتهافت الفلاسفة للغزالي وكتب عن النفس لابن سينا وغيرها...

وكان همهم أن يُخفوا عن الأعداء كنوز الفكر القديم الذي استحوذوا عليه، وبدأوا يأخذون المخطوطات لكي يصلوا إلى تجريد الوثنيين العرب من قسط الحقيقة الذي يحوزونه[2].

وقد ألّف لينور وبنري كتاباً في عمليات حسابية، أسهم هذا الكتاب في دخول الحساب العربي ربوع أوروبا. وكانوا يعتبرونه مخجلاً أن يكون الوثنيون

---

(1) كتاب الكنيسة والعلم لجورج مينوا ص 194.

(2) جورج مينوا، ص 217.

والعرب أوسع علماً من المسيحيين الذين يلبثون عاجزين عن شرح الظواهر الطبيعية.

وقاموا بالتوفيق بين النظرية البطليموسية حول مبادرة الاعتدالين (الربيع والخريف) وبين النظرية العربية حول الولوج والانسحاب.

قال أفلاطون التريفولي: على نقيض ذلك ليس لرجالنا أي مؤلف وبمثابة كتب، ليس لديهم سوى صنوف من الجنون والأحلام وأساطير نسوة هرمان[1].

وقال بيير المبجل: يجب أن نحترم الدين الإسلامي ونعترف بصفات مسلمي العرب وفضائلهم وبرغبتهم المخلصة في الإقناع بدل الإبادة التي أعلنها برنارد، وقد صرح اليكسندرو كويري: أن العرب هم الذين كانوا معلمي الغرب اللاتيني ومربيه، وقال: إن الحضارة الإسلامية سوف تتطور بسرعة شديدة تحت تأثير ردة فعل عنيفة من النزعة الإسلامية الأرثوذوكسية وهي التي كانت تلوم بحق الفلسفة على مواقفها المناهضة للدين وأيضاً من جراء صدمة الاجتياحات التركية والمغولية التي صيرت الإسلام ديناً متعصباً.

قالت زيغريد هونكه في كتابها العقيدة والمعرفة[2]: إن العرب كانوا هم الوسطاء للتراث اليوناني.. إن العرب توسطوا لأوروبا في نقل التراث القديم بعد أن أنقذوا من النسيان والضياع ما تبقى من الأعمال التي تعرضت للدمار بمرور القرون وبسبب التعصب المسيحي، وترجمات من قبل أكاديميات الترجمة التي أسسها الخلفاء في بغداد بينما بيزنطة قامت بعمليات الإبادة المنتظمة المتكررة وبتحريض المتعصبين المسيحيين بينما نجد التسامح من القائد

(1) مقدمة ترجمته لكتاب التباني عن عالم النجوم.

(2) دار قتيبة للطباعة والنشر ـ دمشق ـ ص102.

عمرو بن العاص مع المسيحيين وهذا سبب من أسباب نهضتهم ثم قالت: كان العرب بسبب مناهج العلم العربية أكثر من مجرد وسطاء للتراث اليوناني، أكثر من سعاة بريد للعالم القديم.

بل كانت بصماتهم واضحة وليس كمن أخذوا من المصريين والبابليين كمتلقين وهم اليونان وتقول وبمساندة من نظام معقد للري والتصريف والسدود والقنوات حَوَّلَ العرب الطمي (في منطقة شط العرب) إلى أكبر مخزن للحبوب والتمور في العالم.

وتكلمت هذه المستشرقة عن الكِندي وأثره في كل ما ترجم، وثابت بن قرة وابن النفيس وابن البيطار، وقد أجرى الفلكي الكبير السرقلي مشاهدة ليبرهن على تغير بُعْد الأرض والشمس التي اعتبرها اليونانيون ثابتة لتقدم نقاط تعادل الليل والنهار.

فقالت: إنّ العرب قد تفوقوا بالخطوة الحاسمة على البابليين واليونانيين والرومان فجعلوا الأرقام المستخدمة لمجرد الاطلاع بواسطة الصفر أداة طيعة ومنظمة وسهلة الاستعمال للتعداد العملي والرياضيات. إضافة إلى ما ألفه الخوارزمي في الرياضيات فأعطى للصفر دوراً حسابياً كبيراً.

إنجازات العرب الفكرية الذاتية:

تقول زيغريد: إلى جانب الابتكارات والاكتشافات الفردية التي لا حصر لها في سائر العلوم التجريبية التي أنكرها الكتّاب الأوروبيون، ونسب بعضها إلى غيرهم نذكر منها بعضها فيما يلي.

1 - النظام العددي والحسابي والبحث التجريبي في الطبيعة لجابر بن حيان، وكذا البصريات وتأسيس علم الكيمياء والمغناطيس الذي استخدم لتحديد الجهات عند البحارة.

وقد قالت زيغريد ومن الواجب على من يكن العداء للعرب أن يعترف لهم بمكانتهم رغم أنفه، وقالت: إنّ البيروني هو الذي أثبت خطأ بطليموس وأثبت دوران الأرض حول محورها في اليوم مرة ومرة تنتقل منها حول الشمس في عام. وإنّ ابن رشد هو الذي اكتشف البقع الشمسية. وكولومبوس وضع أطلس علماء العرب بدلاً من خريطة بطليموس. والإدريسي قد شبه له مؤلف جامع يقع في سبعين خريطة. والمسعودي وابن سينا وعلي بن عباس وابن زخر وغيرهم.

وتابعت تقول: إن العرب هم الذين أدخلوا النور والنظام على أعمال الأقدمين التي كان يكتنفها الغموض في وصفها المتفكك وهذه شهادة باعتراف جماعي من المتخصصين في الطب وفي ذلك يقول أجريبانيتيس هَامْ: لقد أصبح العرب مشهورين في الطب إلى درجة اعتبرهم الناس معها مبتكرين لهذا الفن.

وقالت زيغريد هونكه في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب:

في بحث خاص عن المكتبات في بغداد أكثر من مائة مكتبة. مكتبة في النجف تحوي على 40 ألف مجلد وجمع نصير الدين الطوسي المرصدة في مراغه 400000 مخطوطة .

ويوجد أمير عربي في الجنوب احتوت مكتبته 100000 مجلد.

وحوت مكتبة الخليفة العزيز في مكة على 1.600.000 مجلد.

وقد افتتح الحكم الثاني عام 965 م في قرطبة 27 مدرسة لأبناء الفقراء .

قال زيغلاريد: قدم العرب أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت للغرب طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها.

وقد أكد العديد من علماء الغرب تـأثرهم بفلـسفة ابـن رشـد والغـزالي والكندي وابن سينا والفارابي وغيرهم.

وعندما سرق الغرب أثناء الاستعمار الغربي للدولة العربية والإسـلامية ما يزيد عن (3000000) من المخطوطات العربية والإسلامية وهي موجودة في باريس وبرلين وليدن وأكسفورد ونيويورك فإن هذا كله شاهد كبير على أثر العرب والمسلمين على الحضارة الأوروبية الحديثة.

والذي يريد المزيد فعليه الاطلاع على قصة الحضارة لديورانت.